شيركو بيكه س

سفر الروائح

شعر

ترجمة

آزاد البرزنجي



شيركو بيكه س

سفر الروائح

ترجمة: آزاد البرزنجي

اسم الكتاب: سفر الروائح

اسم الشاعر: شيركو بيكه س

اسم المترجم: آزاد البرزنجي

الطبعة الأولى ـ 2001

دار نينوى

للدراسات والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ ص.ب 7917 هاتف: 5136526

طبع هذا الكتاب بموافقة مديرية الرقابة بوزارة الاعلام

رقم الموافقة: 49544 تاريخ 2000/10/14

اخــراج: هـالـة فطوم

صمم الغلاف: جمال سعيد

يعيد بناء قلعة الذكرى

■ نزيه أبو عفش

ليست مقدمة، إنها ممرٌّ صداقةٍ إلى بيت الشاعر. فبغضّ النظـر عـن أن الشعر ليس في حاجة إلى مقدمات، الشعراء أيضـاً ليسوا في حـاجـة إلى مرشدين وأدلاء سياحيين يقودون خطى الأصدقاء إلى معابدهم وأوابد جمالهم المبثوثة على أديم الورق الأبيض.

منذ سنوات طويلة (ربما أكثر من عشرين سنة) وأنا أثابر على قراءة ما يصلني من أشعار شيركو بيكه س: منذ سنوات طويلـة وأنـا صديـق حبره؛ ذلك لأن شـيركوه بيكـه س، بحرصـه علـى تقديـس الجمـال، شاعر وفيٌّ لأصدقائه، بما في ذلك أولئك المخذولون عـاثرو الحـظ الذيـن يتشردون في متاهات القارات، ويكـابدون ويحلمـون ويـأملون.. كـلٌّ في ظلام منفى.. أو كلٌّ في فضاء أمل.

بين القارة والقارة، وبين المنفى والمنفى، كان يقوم دائماً ذلك البـاب السرّي الذي يختصر الأزمنة ويقارب المسـافات: بـاب الشـعر. ودائمـاً كان شيركوه بيكه س يقف على عتبة ذلك الباب الكريم، باسطاً يديـه وروحه وقصائده كمضيف قروي ودود، دائمـاً وردتـه مشـكولة في عـروة قلبه.. ودائماً يدعوك للدخول ويرشدك إلى ركن المائدة: مائدة القصيدة، مائدة الجمال، مائدة القلب.

لكنْ.. احذر. لا تخدعك الشاخصات وشارات الطرق المغروسة في هذا الركن أو عند ذلك المنعطف. احذر. فالوصول إلى محراب شيركو لا يتطلب خرائط وبوصلات وعاملات طرق، بل يتطلب – قبل كل شيء– شهوةَ صداقةٍ وقلباً.. قلباً ذكياً قادراً على تتبع آثار الروائح السرّية النبيلة التي تسجت منها قصائده، ونهضت عليها أركان سفره.. سفر الروائح.

هكذا، ببصيرة القلب، يمكنك «من قريب وبعيد.. أن تتنسّم رائحة الآلام كلها»: هكذا يمكنك أن تَبْلغ القلب.

«رائحة الدم هي رائحة تاريخي».. يقول شيركو. ما أوجعها من رائحة، وما أمرّه من تاريخ.. تاريخ الدم.

على أنها ليست رائحة تتبدد وتموت. إنها رائحة الآلام والذكريات والآمال وتفاصيل الحياة المبجلة، رائحة الكائنات الخالدة التي استطاعت – عبر الأزمنة – أن تصوغ تاريخ تعاستها بحبر الأمل.. وترفع أعمدة أضرحتها بحجارة المكابدة.

«ها قد غدت الرائحة عيناً وأذناً بالرائحة تسمع وترى إذن اتبع الرائحة لتسمع وترى. اتبع إشارة القلب. ذلك لأن إشارة القلب لا تضلّ ولا تخدع. إنها وحدها القادرة – كرياح الشمال – أن «تهبّ متعرجة، وتعود القهقري، لتصل إلى زقاق اللغة الأولى».. زقاق الحياة.

.. وإذن، اتبع الرائحة: الرائحةُ دليلُ التاريخ.

مع ذلك لا يتوقف «سفر» شيركو بيكه س عند كونه سِفراً للروائح فحسب، بل هو سِفرُ ذاكرةٍ خلاقة مشحونة بالشقاء، يتجول شيركو في أنفاقها تجوال كاهنٍ بين أنقاض كاتدرائية كونية سبق أن كانت في الماضي معبداً مكرساً لتمجيد الحياة. ولهذا أيضاً لا يتوقف شيركو بيكه س عند كونه «شاعر ذكرى» بل هو قبل كل شيء شاعرُ حياة.. شاعرٌ منذور لتقديس الحياة.

وعلى عكس غيره من الشعراء الذين – فيما هم يتنصلون من ندوب الذكرى – ينهمكون في مطاردة شبح الجمال بعيداً عن المركز؛ على عكسهم يبدو شيركو بيكه س، في محاولته لإعادة بناء قلعة الذكرى، أكثر إخلاصاً وتشبثاً بالجذور الأولى، وبالتالي أكثر استغراقاً في لمّ الشتات الحزين لمشهد الحياة المهدّدة: إنه يعيد بناء القلعة.

.. وهكذا، من زقاق إلى زقاق، ومن أثر رائحة إلى أثر أخرى، يستغرق شيركو بيكه س في عملية نبشه الذكي لأحافير الماضي. يعاود البحث عن أشلاء الهوية الإنسانية التي يتمّ تدميرها ضمن ما يتم تدميره وإعدامه من أشياء الطفولة وأشياء الأرض وأشياء الحياة. إنه لا يقدم وصفاً.. بل يعيد صياغة روح. وفي محاولته الشجاعة لتهجّي لغة الحياة الأولى (البدائية في مظهرها) إنما يعيد رفع حيطان وهياكل المعابد الأولى: يعيد رفع صرح الحياة. ففي كل ما كتبه ويكتبه (في كل ما أنجزه من آلام مخاضات الحين) لا يعرف كيف يكون يائساً، بل هو على الدوام يغذّي فكرة الأمل، ويتعقب وميض شرارته السرية في البقايا المتبقية من ميراث الإنسان وآثار عبوره الدراماتيكي على أرض الله..

أبداً، إنه ليس شاعراً متفرغاً لمضغ الذكريات واجترارها: إنه يعيد إنتاج الأمل.

بلى، يعيد إنتاج الأمل، مدركاً أنه -أمام كل هذا الخراب الكوني، وأمام كل هذه الخيبات والكوارث والأهوال – ينتصر الشعر: روح الإنسان تنتصر.

إنه – إذ يلاحق أطياف الذكرى – يبحث عن النبع، ذلك النبع الكريم من الجمال واللطافة وحب الحياة، الذي لا يبدو أن شيئاً يمكن أن يهدّده غير أولئك السفاحين مُعاقي القلوب.. الذين يلاحقون الحياة في أكواخها الصغيرة المؤثثة بالحب والرضى وشهوة العدالة ويتعقبون

عشاق الحياة الأوفياء في القصائد والأحلام وظلمات المنافي: أعداء القصيدة.. أعداء الحياة.

مع ذلك، بين هاجس الجمال وهاجس الفكرة، وفي دورانه الحثيث والحار حول جدران معبده القديم (معبد ذكرياته) يظل شيركو بيكه س قادراً على الإمساك بالخيوط الأكثر دقة ورهافة لعمله الفني، بحيث لا يسقط في الإنشاء والنثرية وعاديّة الوصف.

الحياة – برموزها وتأثيراتها وتلاوينها – ذلك هو ما صنع شيركو بيكه س: ذلك هو ما صنع شعره. إنه لا يصف الحياة.. بل يدعها هي تعبّر عن نفسها وتفصح عن أسرارها. إنه – والحياة – شريكان في صناعة القصيدة.

إن «سِفْر الروائح» ليس مجرد قصائد، بل هو – في جملته– مجموعة صلواتٍ تعبّدية تمجد الحياة.. أو تشفق عليها.. أو ترفع الأناشيد في رثائها. وهي، إضافةً إلى ذلك كله، ليست – كما توحي للوهلة الأولى – مجرد استذكار حنينيّ، بل هي صوتُ ضميرٍ واثق وخلاق: هي صوت الأمل.

«الرياحُ» تهبُ متعرجةً،
وتعودُ القهقرى من هذا القطبِ
لتصل إلى زقاق لغتي الأول،
تنحني أمام عتبة أحد أبواب الأربعينات
فتشم عبق طفولتي، وتستنشق زهرة أحلامي
امتزجت رائحة طفولتي باكراً، كرائحة جَدْيٍ، أو عشبة
أو كأريج حبة لوز،
مع رائحة بكاء أميّ،
ورائحة الرثاء الطريِّ،
ورائحة جصٍّ غرفة مقرورة
الليل كانت له رائحة خوف شتوي،
رطوبة الوحدة ومساء الفقر
اختلطت باكراً مع رائحة البؤس الحادة،
ورائحة اللحاف البالي الرطب،
وأحلام حياتي المبعثرة.

يقول الثلج؛

تقول الحكاية البيضاء:

مناغاتك كانت مناغاة الشمام.

كان مهدك ورقة تين،

ومن كلمتك الأولى تفوح رائحة اليانسون

كنت خيالاً صغيراً للباكورة، ملتصقاً بالأرض

في فيء أحد بساتين «ملكندي»(1)،

تضحك مع التراب.

لكن زوبعة

اقتلعتك ذات يوم من جذورك.

وتدحرجت، من أعالي الزقزقة؛

من أعالي القهقهة، نحو رماد أحد الوديان

وغبت عن الأنظار.

كانت رائحة الكروم ورائحة أمي سواء.

كانت رائحة الجبال ورائحة أبي سواء.

وتحكي لي الكروم ذات العيون السود

حكاية العنقود الذابل،

ويحكي لي ذلك البستان ذو الذؤابة والجدائل الشذية

حكاية أغصان وأوراق أغنية من أغاني

هذه اللغة الحزينة حتى أنام.

يقول الثلج؛

تقول الحكاية البيضاء:

أقدم دخان، كان دخان ليلة مقمرة لأرملة صقر.

أول رائحة وصلت إلى مشم طفولتك

كانت من ذلك الوميض المحروق،

من شياط تلك الملامح،

واحتراق ذلك الثوب.

مذ ذاك، فصاعداً أصبح شميمك مشم وطنك؛

ومن قريب وبعيد تتنسم رائحة الآلام كلها؛

رائحة أحداث تاريخ العالم القديم والجديد، وأسرارهما كلها.

من روائحها، تميز الحزن والفرح، الاحتفال من المأتم، والظلمة من النور.

تتعرف على الكارثة، وتذوق طعم الأشياء شماً.

تختار الألوان والألحان استشماماً، فتصنّف المزهريات

وتعيد كتابة الفصول.

تُخرج الروائح من «الريح»

تحيلها إلى خرزات ملونة

فتميز بينها واحدة واحدة.

أنت «تقرأ» سِفر الروائح لسَفَر الأصوات

ومستقبل رؤياك،

تقرأ الألوان شميماً

جربتُ الرؤية فكانت سراب زَيْغٍ.

جربت السماع، كان تيه الأصوات والصخب.

جربت اللمس، كان خدراً دائماً في يدي.

وجربت الذوق، كان جفافاً لا يترك فاهي.

بقي لي قلم الرائحة وحده

كي أكتب به هذه المرة قصيدة جديدة.

«أقدّم الأغنية العطرة الأولى لسفر الروائح هذا

إلى أرملة صقر»:

«عند ضفاف الماء ذاك

مددت يدي إلى ذؤابةِ

صنارة حمراء أرملة.

تضوعت يدي بعدئذ

برائحة الشفق

والقطلب الذاوي.

احتككت بالأرياش الفضية

ليمامة أرملة،

بعدئذ.. فاحت من أطرافي

رائحة وحشة العش

وسماء أسيانة

قبّلت تلك الأغنية الأرملة

في مقطورة الغربة

بعدئذ .. استحال فمي وشفتاي وشعر رأسي

حديقة حملتها الغيوم،

وتضوعت برائحة الدروب البعيدة

ورائحة الفراق،

ورائحة الكمان ذي العيون الندية للدنيا هذه».

يفوح من الألم نسيم وطني الخرب.

رائحة الدم هي رائحة تأريخي.

رائحة الميديين ورائحة كاتايات زردشت(2).

رائحة الشراب والنكسة سواء.

تضوع من رباعيات بابا طاهر وأبيات «فقي طيران»(3)

رائحة الأقط والسنبل

وسُخب ربات البيوت.

يقول الثلج؛

تقول الحكاية البيضاء:

كنت مُهراً، يشتعل عرفك تواً.

كنت حديث العهد بالسباحة،

وكأسماك حوض مسجد «حاجي حان»(4)

تسبح في ماء مشمس صاف وعميق.

كانت دنياك مستطيلاً ببضعة أمتار

حين وصلت عطن جثمان أربع مشانق،

رائحة أربعة حبال، من العاصمة إلى صحن داركم

تضمخ بها بيتكم، وشجرة التوت،

وقلائد والدتك ومرآتها، وكتب والدك،

وحقيبتك المصنوعة من القماش.

تلك كانت رائحة الحب والنور، فاستنشقتها.

تلك كانت رائحة الضحية والحرية، فاستنشقتها.

رائحة البابونج والضحايا تذهب بعيداً،

رائحة النور والضحايا سواء، سريعة النفوذ

تخترق الصخور، والأشجار، والحيطان.

كانت تضوع من النشيد رائحة البلوط فوق النار

ورائحة جبل «كله زرده» وكهف «هزارميرد»(5)

ورائحة قبة «أمين زكي بك»(6)

وتضوع من أشعار «بيكه س» و«قانع»(7)

رائحة صرخة مدينتي

والثرى الأحمر بعد سقوط الأمطار،

فاستنشقتها وكبرت.

يحكي «تووى مه ليك»(8):

عينا فتاة خضراوان، فراشتان أسطوريتان،

فانوسان أخضران، دخلا وادي روحك.

فاقتفيت أثرهما. كنت تغدو شعاع شمس وتسير،

تغدو ظلاً وتسير. تغدو شجرة وتسير،

تبعتهما. كنت تقفز على الأضواء وتتعثر

بالليلة المقمرة. كان الغروب يطبعك بلونه، والأغنية

تندّيك، وتتلوى بين الروائح الصفر، والحمر،

تستلقي بين الغيوم وتغطيك نسمة.

عينا فتاة خضراوان، أصبحتا حلماً أخضر لك
مازلت تشم رائحتهما. مازلت تتبع خطاهما.
رائحة العيون الخضر والعشق الأخضر،
رائحة أوراق الدلب والكروم سواء.
رائحة الابتسامة، والنرجس، وملتقى العشاق سواء.
أصبحت مرحباً داخل رائحة العيون الخضر
وبدأت تذوب من الألم الجميل.
«أشم رائحة خال صغير على صدرك».
أغمض عيني وأصل سفح هضبة
فأدخل رأسي في حضن بقعة من الريحان الأسود.
أشم رائحة شعرات من شعرك الأصفر.
أغمض عيني وأصل وهدةً
فأستلقي بين الأزهار الصفراء.
أشم دمعة من دموعك، أغمض عيني
وأصل أسفل ترعة،
أغط رأسي في غدير
فأستنشق آهة لك وأغمض عيني،
وأنتظر حتى تأتيني ريح ثلجية

تذهب بي نحو رياض الجبال.
أشم عبير أسمك،
أغمض عيني وأصل إلى ديوان لي
وأبقى منتظراً حتى يفيض ماء الشعر
فيغرقني فيه
أنت زجاجة عطر هيفاء
مسدودة الفوهة،
آه يا جُلاّبي! هاتني رأسك
لأدير قبعة الحديقة
بإصبعين من أصابع هذا العشق الواجف
وأفتحك
كي أصبك من عيني في روحي صباً.
آه يا جُلاّبي! لا تقلقي،
سوف لن تكوني زجاجة خالية عندي.
فأنا ورّاد اللغة هذه، منذ الآن فصاعداً،
أخلط روح الشعر وحبك معاً.
ما زلت حتى الآن - بعد رحيلك، ألمُّ رائحتك في الملتقى.
أضع شعرات رائحتك واحدة واحدة في حقيبتي اليدوية.

أعودُ برائحتكِ إلى البيتِ. أضعها في غرفتي لحين جنوحِ الظلام.
أفتح حقيبةَ الرائحةِ في الليلِ. أمدُّ يدي إلى عبقك بهدوء
كي لا تذوي.
أزرع حفنة منها، أرى فيها قامتك.
أمسّد رائحتك.
أوقدها؛ أغطي نفسي بها.
أرسمها واتعللها.
رائحتك شريط أغنية ليلية أستمع إليها.
آه يا جلاّبي!
يوم تسافرين تتضمّخين برائحة شعر «نالي»(9)
يوم تعودين أعبق بطيب «نوروز»(10)
يوم تغتاظين تسطع مني رائحة «كرميان»(11)
يوم تقهقهين تنفحين بالتلألؤ.
وحين تتحدثين أحياناً دون أن أفقه،
أو أراك، ذابلة الروح، غير مغناج
كومة شعرات مشعثة،
أتضمخ ذلك اليوم برائحة الشِّعر عديم النواة، عديم الإيقاع،
ورائحة الكلمة الميتة.

مازال جفني فراشة تعبة

جفني موشك على الشيخوخة

لكن عيني .. لا لا تقولي هذا:

فبالأمس، وعلى ذلك الشارع، سقطت من باقة إحدى الحسناوات

شامة صغيرة، أصغر من شامات الدعسوقة، أدقّ من النمنمة،

فعثرت عليها والتقطتها،

ووضعتها كنقطة في آخر قُبلة بيت شِعري.

شَعري عش متعب. شَعري سقيفة مهدّمة،

لكن رأسي .. لا لا تقولي هذا :

فعند هذا الصباح رام لحناً أكثر ملساً من سمك مَعْبَر

وأسرع من عصفورة حلم.

هَجر أفق إحدى صبواتي

لم أدعه ينفلت. أمسكتُ به.

جعلت منه رنين خلخال

لقدم «شه م» ما ..(12)

جلدي خيمة متعبة. جلدي زمان متشقق،

لكن شِعري .. لا لا تقولي هذا:

فأنا بنفسي الكلمة «الجميلة» ذاتها في اللغة الكردية.

لن يفوت أواني، فأنا بنفسي قص الشّعر.

لن تفوت أواني،

فقد ملأت لتوي غيمة منطادية من الشعر فوق «هه لكورد»(13)

ملأتها من عبير الحياة وأودعتها لـ «ريح» قادمة.

ولكنني قلتُ لها أن تبقى في غدوها ورواحها

إلى أن أفنى.

حينها، فلتنزل ولتهطلْ مدراراً.

أدخل رأسي في حضن روائح الماضي

أصل حقل الحروف، وأتمايل كالأعشاب في كلماته.

أغدو أذن المَدَر

وأنف الجملة.

أجدِّف قارب الكتب

واقرأ «مم وزين»(*):

رائحة لحية خاني (*) ورائحة حقل النرجس سواء.

رائحة ارتباك مم ورائحة اللبلاب سواء.

تفوح من «زين» رائحة الاكليل،

ومن «مم» رائحة شاطيء الزاب.

تقرأ «مم وزين».

تفتح على الشعر شبّاك الآس والبنفسج

يأخذك خيال عبق معه:

يأتي مم وزين على طاق الشُبّاك

يتضمخ شباكك بطيب الجزيرة وبوتان ودجلة (14).

رائحة الجريمة و«مه ركه و ه ر» سواء (15).

رائحة الفاكهة النتنة و«مه ركه و ه ر» سواء.

تسقط مع النيرك في بحيرة «وان» (16)

تهيم على وجهك مع هيام العشاق.

توقد مع خاني نار «النوروز»

في عيد الأرض والشجرة

يحيلك عشق ما لهباً

فتكتب الغابَ باللهيب.

تفوح من اللهيب رائحة بسالة مم،

ومن شَعر «زين» رائحة اللغة.

«لم يكن بيني وبين اللغة شيء

عدا تحية يومية.

حتى جاءت ذات مساء

حاملة لي وَجْد الشعر في سحابة.

مذ ذاك فصاعداً امتزجنا

أصبحَ مخاضاً وبرقاً

يتلوى في داخلي،

ويضربني من فوقي

فأصبحت بدوري دَمَقاً.

ولم يكن بيني وبين الرائحة شيء

عدا التحية حين نلتقي عند بستان،

أو جبل، أو واد.

ولم نختلط

حتى جاءت ذات ليلة

حاملة لي وسع حضن وطني

رائحة اشتعال واحتراق أحلام الناس والأطفال»

يحكي سهل «ويس» (17):

مع «الريح الهبوب» (18)

كان موعد رحيل أشجار «النارون».

كانت الأنفاس تهيم على وجهها صوب الصحارى.

تنقل خطاطيف الدموع القش والغثاء.

تلم النجوم رِحال التلألؤ، وتصنع من دموع «الحجرة» و«الخانقاه»

سِمطاً للذكرى

وتقلده جيد الغربة.

تسير الأمطار:

إنه موعد رحيل رذاذ الشعر.

البساتين تهجر.

إنه موعد رحيل أشجار الصنوبر. لا مكان للفراشات

في موطن «بابان».

لا مكان للدبور والنسيم في العش الحجري داخل قلب الأم.

الغربة ليلة جرداء

تحت الوابل والطوفان. مع كل خطوة لـ «نارون»،

تخرج من صدر الأرض آهة وتنفطر. مع كل خطوة

لهجرة الآلام هذه تخرج من صدر الحجر حسرة تشوط من حَرٍّ

سموم.

إلى م تلتفت؟

أي وفاء وأي لون مقتول تودع؟

لمْ تتصالح الدماء فيما بينها،

لمْ يسلم «الأمراء» رؤوسهم لك بل للرياح الهوجاء.

إلى م تلتفت؟

ترحل «النارون» وأوراق أغصانها تهذي

وهي ترقص رقصة الدراويش

في حضرة وسمي الروح والعشق

رائحة النارون ورائحة المصير المجهول سواء.

رائحة أصيل «ويس» ورائحة الهجرة هذه سواء.

رائحة «الحجرة» ورائحة السأم سواء.

رائحة رطوبة الوحدة ورائحة سَفَر الدموع،

ورائحة التفاحة الهائمة على وجهها و ..

رائحة الوداع الأخير سواء.

«هو .. كان في البداية

شرارة وحيدة لا غير

تطايرت من جناح الهجرة».

«هو .. كان في البداية

قطرة وحيدة لا غير

أسالتها عين حسرة».

دخلت بيننا القطرة

انظروا مذ ذاك،

كيف أصبحت الشرارة ناراً،

وكيف أصبحت القطرة بحراً

انظروا أنّى تفشى الماء والنار معاً.

يقول شباك غرفتك

قد صار أنفك أنف الساباط والشارع

تشم الآن رائحة الليل الغاسق ورائحة «كرميان»،

وتشم الآن رائحةَ وردة ليمون حب جديد

ها قد غدت الرائحة عيناً وأذناً ..

بالرائحة تسمع وترى

تفوح من الـ «اللّه ويسي» (19) رائحة السهب والعشب والبهار.

يأتي الـ «اللّه ويسي» برائحة الغزال الى غرفتك.

تشم الآن صوت «على مردان» (20)

رائحة عشق يتصبب منها عرق كركوك من الحرِّ

ويتحدر قطرة قطرة على رقبة «زنكنه». (21)

رائحة عشق: يغدو في فيء عريشة قامة «شوان» (22) مسك الغزال

يمنحك طيبه سحراً جديداً.

تقطع دروب الرائحة تصل منزل «خاوكه ر» (23)

هناك تشم عنبر تأريخ بعيد، ورائحة شامة الجبين والحنك،

ورائحة اللباد والصهوة والبرجد القديم،

ورائحة خبز الشعير الحار وبطيخ البستان.

تقول السمومُ:

رائحة تكرش الوجع

ورائحة «كرميان» ورائحة الجرح سواء.

أنفك أصبح أنف السهب:

في الليل تتنسم رائحة الصمت المحيط بك، والوميض الدافيء،

ولمعان الحباحب، والجرح الغائر.

وفي النهار تستنشق رائحة حديث لغة الـ «قندهاري» (24)،

ورائحة بَساطة الناس الطيبين.

تضع رأسك في فخذ المرج

فيدخلُ حلمٌ إبطك.

تفوح منه رائحة الشونيز والحناء.

يغادرك ويأتي حلم آخر بأناة،

تفوح منه رائحة النعناع والوطب.

«تماماً كالقطا

لا تميز كلماتي عن الأرض

إلا حين تتحرك».

كتوأم البلوط أصابعي وأصابع الحجر،

وأنت كالنقيع تماماً

لا تتذوق كتاباتي

الا حين تشرب صوتي.

أصغِ إلي، خرير الحالوب الساقط على الخيام

وهطول الكلمات داخل رأسي سواء.

تشممْ رائحة خيالي

ينفح برائحة الخبز على الصاج

أو رائحة حبات البطم الخضراء في طاسة من المخيض.

إني أكتب الشعر بروح القرن الحادي والعشرين،

ولكنني لا أنوي تجريد قصائدي

من الـ «كوله بال» والـ «كه به نك»

والـ «فرنجى» و«الشال» والـ«فه قيانه» (25)

ولكن أنفي لم يصبح أنف المصيف والمشتى

وأنف الحياة،

حتى تشممت الروائح الكريهة. فأستنشقت
رائحة المضطَهدين أيمّا اضطهاد، رائحة البؤساء،
رائحة المهدورة دماؤهم، رائحة المستبدين،
والمأسورين .. حتى سطعتنى تلك الروائح.
رائحة الأزقة المصابة بالجذام في عالم الطاعون.
رائحة تكرّش جلود المفجوعين. رائحة ظلمات السجن.
رائحة الخوف، رائحة الفقر، رائحة السوط،
رائحة جسد السياسة المقمل، ورائحة لمى الأجداد المليئة بالصؤاب،
رائحة مستنقع قرن الكذب، ورائحة المشانق المحيطة بنا،
ورائحة ادريس البدليسي (26) ورائحة اللصوص.

«ظَربان اللصوص والقتلة في نتانة اليوم.
الكاميرا الخفية للشعر ومشاهد قصيرة و ..
أقاصيص من سِفر الروائح هذا»

أولاً: حينما كانت قامتك تثمر أجاصاً
كانت قلوب تلك القرى سِلالاً لحبِّك.
كنت قد تضمخت برائحة الوَسْمي

ورائحة ساق السنبلة.

حينما كانت يداك جدولين صافيين

ورأسك عباد شمس

كانت أجساد تلك السهوب مرآة لحبك

كنت قد تضمخت

برائحة الحمل المولود تواً

وبرائحة العشب الأخضر.

والقرى، آه للقرى!

ذبحتَ ما بقي منها كالحمل

هشمتَ أشعة الشمس

قتلت الماء،

أعميت المرايا،

ملأت القرطل بالجروح.

أنت الآن قامة تُنجب ديداناً،

وتأريخ يفضح زمنه،

ويد

تسرق ثدي أمها لدى حلول الظلام.

«تفوح منك الآن رائحة مراحيض المسجد

ورائحة الطاحونة الخربة في القرية

ورائحة دار الموتى»

ثانياً: عند الهزيع الأخير من الليل،

وفي غرفة جسدها من طين

ينطفئ فانوس

وتستلقي امرأة ما بهدوء.

إنّها قصيدة ترتدي الحداد في تابوت أبنها، وتنام.

تراها في منامها. يعود إلى البيت.

حضنه مليء بالشموع المضيئة،

وشعره قد غدا أزهار الرمان.

- تفوح منه رائحة الصيف -

تراه في منامها،

وحيدها فحل أحمر

يعود إلى البيت

وعلى جبينه محفور أسم جلاده بحروف كبيرة

تنتفض المرأة وموجة من الصراخ تغمرها

تتصيب من جسدها رائحة الخوف.

بعدها بدقائق. ينطفئ فانوس

في غرفة مرمرية،

يستلقي رجل ما بهدوء

وينام في قطن الوسن

– تفوح منه رائحة السُّلطة –

يرى في منامه امرأة قد استحالت غيمة مجنونة،

وليلة خبلى

فتجيء الى بيته.

يتعرف عليها حين تصله.

تمد المرأة يدها

وتفتح جلد بطنها،

تخرج رأس ابنها

وتمسكه أمام عينيه.

ينتفض الرجل صارخاً

يضمخ جسده برائحة الكراهية الحادة

وعينه برائحة الانتقام.

وعند الصباح

وأمام دار التابوت

تقف لاندكروز كثور حديدي هائج

تنزل منها أربع بنادق

يكسرن باب التابوت ثانيةً ويدخلن

فتفوح منهن رائحة الجريمة

ثالثاً:

لا بد هناك شيء

قد جنن تلك الغابة

وإلاّ لِمَ تعترض طريقي، وتمسك بياقتي!؟

– هل نسيت الفأس!؟

– لا بد أن شيئاً أثار غضب الوادي

وإلاّ لِمَ أراه جامحاً

يضعني تحت لطمات الماء.

ويكاد أن يخنقني.

لا تتغابَ،

ألمْ تقبّل أحدَ جداوله؟!

– لا بد من شيء هنالك.

وإلاّ لِمَ لَمْ يزرني المطر هذه السنة

ولو مرة؟

- أذن، من أشعل النار في بيدر العام المنصرم؟

- لا بد من شيء هناك،

وإلا لم لا يدير لي وجهه الشارع الذي

كان يدي طوال عشرين عاماً،

ويحرمني من رائحته القديمة؟!

هل نسيت تلك الليلة التي اقتحمتها،

سرقت عيونها

وهربتها عبر الجدار؟!

رابعاً:

أودعتُ السرَّ عند ليلة ما

عندما عدت في الصباح التالي

كان السرّ قد استحال طيوراً وحديقة عامة

- لكنهم سرقوا مني الطيور والحديقة العامة -

وخبأت في الحديقة بعضاً من أحلامي،

حين أخرجتها كانت الأحلام.

قد أصبحت نُقلاً ودمى أطفال.

– لكنهم سرقوا كذلك النُقل والدمى –
وكنت قد أخفيتُ في مغارة
بعضاً من أمنياتي المدماة،
حين أخرجتها
كانت قد أصبحت براقعَ عرائس وشموعاً؛
كانت قد أصبحت سرب «حيران» (27) ما بعد الانتفاضة
– لكنهم سرقوها مني أيضاً –
وأنوي الآن إخفاء أناشيدي كلّها،
وعواصفي كلها، في قلعة روحكم،
حتى تهبَّ ذات يوم
وتعيد لي الطيور، والأزهار، والحديقة،
والبراقع، والشموع، على أجنحة «الحيران».

خامساً:
كان الموسم موسم الثلوج والزوابع،
لكنني كنت أرى
أزهار الشمس تنمو في كف يدك،
وأرى كتفيك قد غَدتا أعشاشاً للطيور البرية.

كانت في جيوبك فتات من الخبز،

وابتهال الحصى، وابتسامات الأطفال،

وعدة قصائد من قصائدنا المنوعة.

كانت تحت إبطك مفكرة موحلة

وشعرتان لِقِصّة ما،

وصراخات السهل الطرية،

وآهات المدينة الباردة.

في زمن العذاب والأزهار

كان في وسعك:

أن تشتري حقل حب أولئك الناس بفتات الخبز.

أن تشد مآزر رؤوس الأمواج بحصباء الأغاني.

أن تجرّ الغابات من شعرها إلى الملتقى.

أن تأخذ بيَدِ الصحو إلى داخل الكهوف

بقراءة دخان من أدخنة المفكرة.

أن تنزل المطر من غيمة عاقر بصرخة طرية،

وأن توقد قامة الليل بصوان الشِّعر.

إني أراك:

رأسك يتحول إلى معرض بائعي المجوهرات.

إني أتعرف عليها: ذلك الهلال المتدلي

إنه الوجه المسروق لقمري الأرمل.

إني أراك: جيوبك ملآى بقهقهة العمارات،

ملآى بتثاؤب البيوت المحتلة.

أتعّرف عليها جميعاً: ضحكة الياقوت والفيروز تلك

هي دماء الحجر، وتموّج ألم من آلامي الزرق.

تأخذ بيدي صوب خفايا اللون، والصوت، والرؤيا.

حينما كنت تستطيب رائحة الشفقة

كنت مستلقياً ومشلولاً ..

حينما كنت تشم برودة الترمل

وتتنشق روائح الصبر

كنت لا مبالياً .. لا يد لك

بدأت تقف على قدميك حينما شممت رائحة التمرد ..

بدأت تتعود على الروائح حينما شممت رائحة الغضب ..

فزّزت الرائحة الحمراء جسدك، فأدارت بك زوبعة الروائح

وبلّلتُكَ أمطارُ الروائح فصِرتَ سماء.

لا بد لي أن أعترف:

قد أفتقر الكثير من كلماتي وأبياتي
إلى رائحة الروح،
فأخذته الرياح معها باكراً.
لا بد لي أن أعترف:
عوضاً عن أن أحيل القصائد إلى لآلئ من أعماق البحر،
جعلتها خشباً وقشاً،
وغثاء أخذتها المياه العكرة معها.

كانت لدي مزهريات روائح شتى
على الرفوف الموجودة فوق رأسي،
ولكن، بعد يوم من موت «كاني عاشقان» (28)،
أخرجتها كلها، وصَفّقتُها أمامي:
بدأت أشمها ثانية
كسرت مزهرية الدموع.
كسرت مزهرية الشفقة.
كسرت مزهرية التأني.
كسرت مزهرية الصمت.
والوحيدة التي أبقيتها

كانت مزهرية رائحة روح «الانتفاضة».

يقول الجبل:

مع صيحة الحجر بدأت بالتحليق.

مع ألحان الماء كنت تغدو رذاذ الأغنيات

تنثُّ على وجه العاشق.

يقول الثلج، تقول الحكاية البيضاء:

كانت الأسرار والندف بيضاء. كان الإله أبيضَ.

شممت الألوان البيضاء لما وراء خيالك

في أفق أبيض،

لم تكن تعلم لماذا يتراءى لك «محوي» (29) في بياض رؤياك؟

كنت تراه: يداه غصنان من الفضة،

نظراته قطن.

عيناه زهرتا أجاص عند الصباح،

وسحابة رخوةٌ لمته

لم تكن تعلم لماذا

يزهر خيالك الأبيض هذا.

أسئلة بيضاء دائماً؟

لم تكن تعلم لمَ «محوي» قادم اليك ؟ كنت تتأمله،
كان رأسه علامة استفهام. تتساقط من لحيته
شظايا نار بيضاء. حاجباه فراشتان بيضاوان.
كنت تتأمله: تشعر أن شمعته البيضاء تذوب كل مرة
ثم تعاود الانبعاث.
كنت ترى في «محوي»:
اللغة وقد استحالت نور الله،
والكلمات وقد استحالت ذرات شعاع سري لله،
كنت تشعر أنك لا ترى ما يراه محوي. ولا تشم ما يشمه،
كنت ترى الحلم جالساً على فخذه يكتب الشعر،
وترى وجداً قد استحال هالة تغطيه.
يغدو داخل حبة قمح شلالاً من الحليب
ويشتعل فوق جناح فراشة صوب الاشراق
فيذوب ويتعالى.
رائحة محوي، ورائحة سر الموت،
ورائحة الريحان والشكوك الجميلة سواء.
رائحة الألوان البيض، ورائحة الغبش، والاشراق،
ورائحة الوجود المملوء بالفراشات، والرب، سواء.

يدخلني «محوي» الى حنجرة السؤال

ويحيلني الى بحث ضال، بين الرحم والقبر.

يضعني «محوي» داخل صوت الشك.

يضعني «محوي» داخل رائحة الشك.

لا يدعني «محوي» أن أسكن داخل الهدوء،

يسلمني إلى الدوامة المجنونة

يسلمني إلى يد الأسئلة المجنونة

داخل لجج الأعماق الهائجة.

يسلمني للدوامات،

لا للأزهار والرمال.

يجبرني على السير بين فرقعات الأحجار وشظايا الوجود.

إنه يريني تفاهة الحياة وتفاهة الموت،

وسراب الرحلة هذه

بين المهد وقبري.

لا يدعني «محوي» أن أسكن كـ «اليقين».

إنه قد أحالني مداً وجزراً،

ولغة قلقة، وقصيدة زاخرة بالـ«لكن».

* * *

الرائحة طريقي وبوصلتي.

تأخذ بيدي.

تحدّرت من جبين ذلك الجبل قطرات النور،

فاحت من الحقيقة رائحة الإله.

خرج شيطان من أحشاء الجحيم

وفاحت من الجحيم رائحة الكذب.

شحذ «قابيل» كراهيته

وفاحت من الحرب رائحة الموت.

ذات صباح، انبجس الحبّ عند الغبش،

ونَمَتْ من أشعة الشمس رائحة العشق.

لم تتنسم الجنة بالعطر حتى وطأتها أقدام المرأة.

تضمخت الورود برائحة الطفولة والطمأنينة، برائحة السلام.

تضمخت الخيانة برائحة الظلام، والأرض برائحة الضحايا.

تضمخ الوطن برائحة الأمهات، والحرية برائحة السماء.

تضمخ الشباب برائحة القوة، والشيخوخة برائحة الضعف.

تضمخ البحر برائحة المجهول، والشك بهذه الروائح كلّها.

وتضمخ الشعر عندي برائحة الحلم،

والوجع برائحة العذاب، والعذاب برائحة القهر،

و«كردستان» بجميعها.

يقول الجبل،

تقول حكاية الجمر:

أخذك معه عشق شموس. سقطتَ في جحيم التأريخ.

كان الفردوس يحترق.

والخطايا نمت لها في النار أغصان جديدة، وكبرت.

كانت العيدان والقضبان لك جسماً.

سقطت في جهنم هذه الدنيا.

في الجبل كانت قرون اليحامير مستعرة.

وفي المدينة كانت شعور النساء المتجعدة مشاعل.

كانت أجمة من الأسئلة تتأمل في موتها.

كنت تأمل في حورية تنبثق لك كالحياة.

كنت تأمل في الحصان الأبيض للحمة براعم الوطن ورماده.

كنت تأمل في بعث الضحايا وعودة «به ريخان»،

كنت تأمل في يد الماء..

كانت الضحايا: شرق نشيدك.

كانت الضحايا: فانوس دربك الأحمر في الليالي الممطرة.

سقطت في جحيم التأريخ.

اشتعلت الضحايا

واشتعل المطر.

اشتعلت الأناشيد.

استحالت الحرية غمد خنجر

يلعق دماء أشعة الشمس.

أصبحت الحرية تابوتاً للأمطار.

أصبحت الحرية أغنية للسكاكين

وسُلّماً للصوص

«قصة أرملة الصقر غدت بعد موت زوجها

زوجة للجوع،

ووصلت رائحة شياط وحدتها ويأسها المنبعثة

من صدرها الناحل

إلى أنف سفر الروائح هذا»

تصب الغُسالة الأخيرة

في فناء الخريف،

تعصر الوحدة والترمل وثياب الحداد معاً،

تذهب إلى سطح الدار وتنشر

الملابس، والأحزان المبللة، والبؤس المنقوع

والجوع المفتت والليالي الرطبة الثيب ..

على حبل الغسيل

- تفوح منها رائحة الزوايا والصراصير -

ترسل نظرها بعيداً

ترى وجه زوجها الأسمر

في سحابة بيضاء.

تنتظر إلى ما حولها، إلى الأسفل

ترى في دفلى الفناء

الجرح المتوقد على صدرٍ

- تفوح منها رائحة دم متخثر -

تنظر إلى يمينها فتقف

تبصر في ما وراء حائط الفناء

وعلى الطريق الترابي،

قافلة سيارات مسلحة

وبألوان شتى

تعكس مرآة التأريخ السارق

بريق الـ«الدوشكا» على عينيها

قافلة تمر مسرعة

يُنزل الغبار الوجه الأسمر للرجل

من داخل السحاب

فيتلاشى أمام ناظريها

يسقط التراب على الدفلى

ويتسخ حبل الغسيل المبلل والحزن الندي

وتنغرس هي كوردة الخطمي المتمرغة في الكآبة والغبار

عند حبل الغسيل الباكي

فوق السطح الطيني

غدت الحرية أغنية للسكاكين

غدت الحرية جيباً للسارقين

وسجادة للفؤوس.

غدت الحرية صائغ مجوهرات في سوق السياسة

وتاجر جملة للأكاذيب الملوّنة

يتجوّل بين المدن

غدت الحرية سيارة الـ «بيك اب» المملوءة بالعجلات المهربة

من يريني العنوان الكامل للحرية؟

لقد نكلوا بالكلمة هذه

هذا الفانوس مظلل للدروب

وباتت الأيادي كلها تحمله.

يد «مزدا» (30) ويد المطر،

يد الخليفة، والسيف.

يد شجرة الزيتون والشعر.

يد عيسى ويد الفأس.

هذه الوردة الجميلة

الكاذبة، القبيحة، الرقيقة،

هذه الوردة البريئة والمتوحشة،

تعلق إلى كل ياقة وصدر وشَعر،

دون تمييز بين لون وجنس.

من ذا يعطيني العنوان الكامل للحرية؟!

لقد امتزجت الروائح، تشعثت فيما بينها.

يتعثر بها أنفي، ويضلُّ شَمّي.

من ذا يرشدني إلى مثوى رائحة الحديقة؟

هاهي لحية كاسترو تفوح منها لحية تكريت

ينم اليسار برائحة اليمين واليمين براحة اليسار.

في حفلة تنكرية اقتربتُ ذات ليلة من الجلاد:
كان الجلاد يرقص من الضحية،
وكانت الحرية حارسهما.
تلك الليلة رأيتُ رأس «بيكه س» و«القمر» معاً،
على مائدة مستديرة لغداف عجوز،
والحرية كانت فضاء الغرفة.
في الليلة تلك
كنت أرى رأس جيفارا ملتصقاً بجسم نابليون،
وجسم بوكاسا برأس جان جاك روسو.
كنت أسمع صوت غاندي، ولكن الثغر كان ثغر «موبوتو».
لقد تعرفت على رأس لوركا
ولكن اليدين كانتا يدي فرانكو.
في الليلة تلك امتزجت رائحة الجلاد والضحية،
ورائحة الملاك والوحش كامتزاج رائحة الورد
بالروث.
من ذا يعطيني العنوان الكامل للحرية؟!
الكرسي، ذاك، كان كرسي الفانوس والفراشة
انظروا من يجلس عليه الآن؟!

القبعة تلك .. كانت قبعة قبرة «بستان مير» (31) حلبجة.

انظروا أي طائر يضعها على رأسه الآن؟!

ذلك القرط كان قرط أذن شجرة تفاح في شقلاوة (32)،

انظروا أي شجرة تعلقه على أذنها الآن؟!

وذلك القلم كان قلم أصابع السَحر والغبش،

انظروا أي إصبع تكتب به الآن.

والعطر ذاك كان أريج رياض جسدي،

انظروا أي مستنقع يتعطر به الآن

نحن ثمار بستان شعار الديموقراطية المكتوب على الجدران

العشيرة تأكلنا والعشيرة تمضغنا وتبصق ثفلنا.

نحن شهداء الخلود،

يقفون لنا كل مرة أمام مرآة دمائنا لمدة دقيقة،

ويمشطون شعر أحزانهم صامتين..

– شكراً .. شكراً –

وزوجاتنا يتسمّرن لسنوات أمام باب العقيدة الفولاذي،

ويبدأ جوعهن بالضجيج،

كي يُسمح لهن بالدخول ومقابلة أحد آلهة الخبز.

نحن الآن لدينا وطن جسده مليء بالثقب

أنه الآن غربال الموت.. نغربل به المدينة..

نغربل به الرأس.. نغربل به الدم..

والفاجعة وشواهد القبور..

قال القمر من فوقنا:

كنتم لهم كلماتٍ داجنةً،

ولأنفسكم تأريخاً شرساً.

ومن شرفة العشق ألقى شاعر بيديه في الجحيم،

وأودع الشعر في النار ثم قال:

تفوح من نصف وعيي الصديء ونصف جسدي المغمور بالضباب،

ونصف صوتي المنسحق، ونصف نظراتي الواهية،

رائحةُ حشائش العجم والروم المتعفنة.

نصف تأريخي كان قرداً خفيف الظل.

نصف جسدي كان مهرجاً.

نصف كلماتي كـانت قيافـة الأكـاذيب الضخمـة، وأدوات درويـش قاجار،

ونعل فارس حميدية، ونارجيلة المنصور بالله،

نصف تأريخي كان اشبينة في ليلة دخلة

الباب العالي والسلطنة

أهذا رأس .. أم لباسة أحذية أمراء الألوية؟

بالأمس وجدت بطيخة رأسي النتنة

مرمية في صندوق النفاية

أمام باب دار أنور باشا في اسطنبول

بل كنت أنا مرمياً فيه. كنت قشرة ملتوية

في تلك القمامة ألحسُ نفسي، وكنت الذبابَ

والحشرات الدائرة حولي.

أهذا رأس

أم بالوعة مَجرى؟

كانت لنظرتي شرارة

أخذوها ليوقدوا بها شمعة في حرم الخليفة.

أوقدوها ولم ترجع عيني.

كانت لدي ياقوتة الحلم. أختطفها أحد ببغاواتي.

فقدت الياقوتة، حتى

ألفيتها ليلة عيد الميلاد

في إصبع امرأة تركية عصرية، فعرفتها.

كانت دمائي .. وتزقزق!

أتأريخ لدي هذا

أم حمال الخان والسلطان لآلآف السنين؟

أوطن هذا الذي عندي

أم عربة الجروح والآلام المتجولة؟

ألا .. يا «ميرو» (33)

أي ريح اختطفت سبال شاربيك؟

أي لص، في أية ليلة، سرق رأسك سراً؟

أي جرذ ليلي افترس غضروف أيامك؟

أي سنّور بري أكل نخوتك كلها نيئةً؟

لم لا تسأل يا «ميرو» .. من الذي أخصى صهيل جبلك؟

لم لا تسأل لماذا تبكي اللقمة تلك في يدك؟

لم لا تسأل عن سبب الابتسامة المقتولة على شفتيك؟

لم لا تسأل في أي مقبرة دفنوا صوتك؟

يا «ميرو» ..

لم لا تبحث عن عينيك وحاجبيك وسُرّتك الساقطة.

لم لا تسأل لماذا تنقصك قرصة خبز بشوشة؟

لمَ لمْ تسمع بقبقة ماء سعيد ومبتهج؟

أنت لا تسأل، لن تسأل أبداً، لِمْ لم يصبح قلبك ذات يوم

طائراً يحلّق من فرط الفرح ولو قليلاً
أنت لا تسأل، لن تسأل أبداً، لِمَ لمْ تنمْ ذات يوم
وردة في وجه زوجتك ولِمَ تضحك إحدى كلماتها ؟
أنت لا تسأل، لن تسأل أبداً أنى جاءت رَبْوتك الجارة سابقاً
بتلك الغابة الذهبية وكيف اشتريتها؟
ألا يا «ميرو»
كم عاماً تنوي أن تعمر
حتامَ تنوي البقاء ؟
متى ستتضمّخ برائحة عاصفة غضبي؟

حتى الآن، تقول جُزُر المنفى
تفوح من البحر رائحة الحرية والخوف،
رائحة الخرير الأبدي، رائحة تلاطم الزمن،
رائحة اللامبالاة والإغواء.
رائحة الغضب، رائحة الخطيئة.
أنت قد دخلت منفى الماء.
تطوّقك أسلاك الماء الشائكة.
قد وقعت في شِباك الغربة.

وكسلحفاة مائية

لا يبدو منك سوى رأسك وعنقك

تجرفك موجة ، لتُحيلك طعماً للقرش.

أنت صرخة في قاع علقت داخل الماء

وصوتك غائص في الطين.

قد أضاع صوتك الرائحة.

أنت جرح عديم الرائحة في هذا الزمن،

قد جئت بنفسك إلى وسط متاهات الضياع وحبائل الطوفان.

تفوح من المنفى

رائحة الحلم المخنوق؛

رائحة جسد السفينة الغارقة ،

رائحة الوداع الأبدي ورائحة الموت الطري.

السفينة الغارقة معلّم

يعلّم البحر اللغة.

ستأتي الآن موجة تتكلم اليونانية ،

وأخرى تتكلم التركية ،

منذ مدة وبحر ايجة

قد تعلم لغة ثالثة.

تأتي موجة تتكلم اليونانية

تأتي موجة تتكلم التركية،

ثم تأتي موجة أخرى

ترتدي أحد سراويل تلك الجبال

أو وشاحاً فوق اكتافها

وتتكلم الكردية.

يقول المنفى:

أنت عشق مهاجر.

إنك هنا، ولكنك قد أبقيت روحك للزمهرير.

أعذارك وزبد المياه سواء.

لا البحر يصدقك ولا اليابسة.

انك قد هربت. أنت زهرة خائفة

لذت بالفرار، وتركت مهد بساتينك وسفوحك.

هربت؛ أنت مزمار أناني

لم تعشق سوى ألحانك

هربت؛ وتركت آهات الـ «الله ويسي».

هربت؛ ولم تنقذ سوى دفترك،

لم تنقذ سوى دفترك،

لم تنقذ سوى قلمك،

ولكن جسد لغتك،

ورأس وطنك

كانا خرقة ومجداراً تركتها للجحيم، وهربت.

فان هبت العواصف لا تحتاج جبلاً،

وان حدثت الزوابع لا تحتاج بستاناً.

لا تستسيغ الحكاية وأنت جائع

ولا نظراتك وهي مضبّبة

ولا قصائدك وهي مريضة،

بل حتى أملك لا تريدها وهي قابعة في الظلام.

أعذارك وزبد المياه سواء،

لا البحر يصدقك ولا اليابسة.

يقول المنفى؛

تقول حكاية التيه:

وقعت في نفق طويل،

وأنت أسى طويل.

انطمستَ في الظلام المثقوب تحت الأرض
أنت تحت الأعماق شغف ندي
قد غطاك مع الرطوبة صدأ جديد
– تفوح منك رائحة
سكك الحديد المدهونة –

في عربة القطار
تغدو صحيفةً نائمة على كرسي خالٍ؛
تغدو فردة قفاز منسية
أو دعاية مرمية.
– تفوح منك رائحة النسيان –
أنت دخان أسود الرأس، تتحرك جيئة وذهاباً تحت الأرض
وداخل عربة الميترو.
تشبه حقيبة وحيدة مفتوحة ومبعثرة
لا صاحب لها،
مع كل هزة
تتدحرج إحدى ذكرياتك
وتنفرط إحدى أمانيك.

– تفوح منك رائحة الضياع –

إنك لغة الشمس المشردة

تذهب كل يوم عبر أعماق الأرض

إلى حروف وكلمات لغة أخرى باردة الدم.. كي تتعلمها.

كلمة متبرمة وجملة خاملة.

أنت في محطة «رودماس كاتان».

تنزل – وفجأة، تأتيك من ثقب النفق

إصبع نسيم بارد،

تزيل عنك ملفعتك،

وتلمس اليد المتخدرة شحمة أذنك فتنتفض.

تواجهك: إعلانات ضوئية عريضة وضخمة،

تنظر إليها.. ترتبك نظراتك،

وتتفتت رؤاك.

ترى صور الدعاية تتوالى

لأجمل حمّالة صدر، وأجمل سروال صيني،

لأغذية الكلاب المعلبة، ولا حدث أثاث

وأجود أنواع أحمر الشفاه

للدعاية من أجل الفواكه والكمبيوترات

وأصباغ الشعر؛

من أجل النبيذ والبيرة،

والرحلات إلى جُزُر جنوب شرقي آسيا؛

للدعاية إلى مرشحي البرلمان

وتقف عند إحداها، أحدث موضات قص الشَعر هنا

– قَصَّة القرن –

عندها تضحك،

وتتذكر رؤوس أطفال «كرميان» الحليقة على نحوها.

هنا تتضمخ بعبير النساء وعطر ملابسهن

ورائحة الفواكه، والبيرة، والجزيرة،

والتمدن.

يأخذك السلم الهارب إلى أعلى المنحدر،

تعرج على اليمين وتقف أمام الجدار الرخامي

– نهاراً سعيداً سترندبيرغ.. نهاراً سعيداً.

تراه كل صباح عند الساعة الثامنة والربع،

سترندبيرغ واقف في المكان نفسه،

على رأسه قبّعة سوداء

تحت حافتها جذوتا نظر حادتان متوقدتان.

وفي الأسفل قليلاً

يستدقُّ شاربان مفتولان عند الجانبين.

وحوله زوجاته ورسائل حبه، وصفحات من مسرحياته بخط يده.

كل يوم حين تلتقي سترندبيرغ في ذلك المكان

تشم رائحة القرن التاسع عشر

ورائحة مسرح «الغرفة الحمراء»

ورائحة شَعر كلماته، والمحبرة واليراع والفن،

رائحة قديفة الستائر السميكة ورائحة الحب..

تستنشق هواء المسرح. تتحدث

ولا يفقهك سترندبيرغ وقتئذ

تغمض عينيكَ وتعود الى «نالي»:

لا القلنسوة ولا الوجه،

لا الشارب ولا القلم، لا صور لـ «الحبيبة»

ولا بيتان باقيان من الشعر

لا تأريخ يوم الميلاد ولا يوم الهجرة والموت،

لا الشاهدة ولا القبر؛ كلها مفقودة.. مفقودة

كآهات «شهرزور».

مفقودة، مفقودة، كالوطن.

آنئذ تنفح منك رائحة اليأس الحادة
ورائحة المأتم والذل.

يقول المنفى:
في الصف. تحلَقتُم حول مائدة بيضوية واسعة،
عشر لغات مشردة ذات لمم سوداء.
والمعلمة الشقراء تجيء وتروح كزهرة عباد الشمس
وتود أن تروّضوا هذه اللغة العاصية، ولو قليلاً،
تركبُكم على السرج. وإحدى يديها ممسكة بكم.
إنها البداية، ولكن ما إن تفلت يدها
حتى تنزلقون على جليد اللغة واحداً تلوا الآخر
فيضحك بعضكم من بعض
تفوح منك الآن
رائحة قواعد صلدة
ورائحة الفعل والظرف والطبشور

يقول المنفى
على حائط الصف

ثمة خريطة للعالم بقاراته وبحاره
خريطة لمئات الأعلام
ترقص في دبكة واحدة
انتم تتحلقون حول مائدة بيضوية كبيرة
وقد كونتم حلقة من الحروف والكلمات
اليوم هو يوم الحديث عن العَلَم
يوم تكلم الرمز في الهواء
اليوم هو يوم الحوار بين عشرة أوطان
بين عشر سماوات
بين الجبال والبحار
والصحارى والجزر وأشباه الجزر في العالم
تخرج تسع ايدٍ، تسعة رموز من خانات الحقائب
تستحيل الرموز طيوراً داخل الغرفة
ثم تحط الواحدة تلو الأخرى
على رأس زهرة عَبَادِ الشمس الواقفة في الصف
تضع تسعة أيدٍ عيونها الثماني عشرة على المائدة
تستحيل العيون فوانيسَ صغيرة
وتكتب على السبورة تأريخ أزهارها وأمطارها وترابها

ودمها ومهدها

واليد الوحيدة الخالية من الرمز

والطائر والأغنية وأمطار الراية.. هي يدك

يدان خاليتان، كالسهل المحيط بـ «كركوك»

عشر أصابع باكية في الجيبين

كأنها أطفال «الأنفال» (34) في الجيبين

عشر أصابع داخل زوبعة

ترمي بقبعات أظافرها من الألم.. في الجيبين

الأصابع العشرة للغتي الخرساء

كأني عشر كلمات أمام «أنقرة»

عشر أصابع كئيبة تحت البراقع.. في الجيبين

كأني عشر فتيات من «سنندج» (35)

وفي هذا الصف حقيبتك هي الوحيدة

التي تضم في داخلها وطناً نحيلاً وسماء مفتتة

ومرآة صحو مهشم

في هاتيك اللحظة

تفوح منك رائحة النكسة

رائحة حرب صخور جبالك مع بعضها

رائحة شمعة منطفئة

في اللحظة هذي

تفوح من جسدك رائحة «جالديران» و«لوزان»(36)

سطعت من حرب الصخرة والصخرة

رائحة جديدة

رائحة الماء حين يُقتل

رائحة الفجيعة حين تسحق

سطعت من ملاثمة الصوت واللون

رائحة جديدة

رائحة المطر حين يميل الى الحمرة

ورائحة الشهيد حين يحلق بجناحيه

وسطعت من امتزاج الطفولة والكلمات

رائحة جديدة

رائحة البراءة لحظة تنام في حضن الله

ورائحة المعنى حين يغدو ياقوتاً

يتلألأ في أعماق رقصة

وسطعت من ملاثمات جسدي مع الغربة

رائحة جديدة

رائحة الشعر حين يتبخر

ورائحة السأم حين يغدو أشواك علّيق

أو شفرة موسى

تنمو في روحي

«منذ حرب الصخرة والصخرة لم تبق كاميرا خفية

المشهد التالي يستعرض إحدى لحظات «ميران»،

حينما كبّرتهُ حرب جسده وكسته

وارتقى سلم الحرب،

الآن «ميران» هو «تأريخنا»

اليوم «ميران» عائد من حرب الصخرة والصخرة

على شفتيه ابتسامة رمادية ويكسوه غبار البطولة

وذرات من الافتخار

اليوم «ميران» عائد من جبهة الجبل

والجبل يرمي بضحكته وعمامته معاً نحو سماء المقر

وقد عادت إلى بندقيته فتوتها

اليوم وفي الصباح الدامي

ربح «ميران» معركة جديدة من جسده

احتل قمة رأسه

وسيطر على أعالي أكتاف مصائبه

اليوم «ميران» منتصر في الجبهة

بكلس الغرور يصرّج الجروح

ويفرش الشوارع بالكركرة، فهو منتصر

الوطن طبل يقرعه

الوطن بوق ينفخ فيه، فهو منتصر

لقد انتصرت أصابع يده اليمنى

على أصابع يده اليسرى

لقد طاردت رجله اليمنى رجله اليسرى

اليوم قبض «ميران» على أسرى

في الحرب بينه وبين نفسه

لقد أسر عينه وحاجبه وانفه

وأذنيه

تفوح الآن من «ميران» رائحة شياط جسد الأرض

والمزارع والطرق

اليوم «ميران» هو كلنا

تفوح منه رائحة مئات السنين الماضية

ورائحة الكلمات وأعمدة الصحف

ورائحة غرفة الكونترول في الـ «التلفاز»

ورائحة المايكروفون في الراديو

ورائحتنا جميعاً

يقول المنفى:

تلجأ إلى الحانة

وتجعل من رغوة البيرة قبعة الخيال

تشعل هماً وتجعل منه شمعة على المائدة

وترنو خلل الضوء الطري والدخان المبعثر

إلى نهاية السنة

تنصب أغانيك

على منحدرات سحب الغروب

وتغدو غمام البحر والشواطئ

تأوي إلى عبير الفتاة الواقفة على مصطبة الحانة،

تجعل من شعرها عريشة «هه له دن» (37)

ومن عينيها ينابيع «ميركه بان»

تجعل خصلاتها دروباً للعودة

وتعود إلى الديار القديمة

تأوي إلى الجيد،

تأوي إلى النهدين

تعود عبر الجيد إلى شلال مياه الثلوج

وعبر النهدين إلى تلال «هورامان» (38) الثلجية

تلجأ إلى الصوت المبحوح لسكير بجانبك

تلجأ إلى الجملة المفككة والحرف شبه المستيقظ

والعين نصف المغمضة،

وتعود عبر المنعطفات والحفر

عبر زقاق الصوت السكير،

عبر دروب رائحة الخمر

الى «سرجنار» (39) فلا تقوى قدماك على الوقوف

وتترنح حتى يأخذ بذراعك إعصار ضخم

ويعيدك إلى سكارى مدينتك

تعود إلى حصرم أحاديثهم

تعود إلى جيب الـ«ستارخاني» (40)

وتغدو حبات بطم مملحة

تغدو ربع قارورة عرق خالية

في جيب سترة الـ«مراخاني» (41)

وسيجارة على الأذن

وحبات اليقطين

تغدو شرائح خيار، وشرائح ليمون

وشرائح قثاء أحمر على منديل مفروش

أنا الآن أعبق برائحة خمر «سرجنار»

ورائحة شارع سكارى الستينيات

ورائحة مساء سكارى السبعينيات

ورائحة نكات «عزت يكبارجه» (42) المبتلة بالعرق

كأس واحدة .. ثم اثنتان وثلاث واربع

تجعل من رغواتها قبعات للخيال ثانية

رأسك الآن ثقيل

كقاعة نادي المعلمين القديم

المليئة بالدخان والضوضاء في ليالي الشتاء

عيناك أوراق صفصاف متدلية

تحدق في الصور المنقوشة على قماش المائدة

أنها لوحة تغلب عليها الفوضى.

رأسك تثقله شظايا رصاص الحرب الداخلية.

عيناك أوراق صفصاف متدلية.

يكبر قماش المائدة والصور تتحرك،

تغيب الحانة والفتاة عن ناظريك

الصور تدخل عينيك، وأنت تدخل الصور:

في الأعلى سماء غير مكترثة وغيمة غاضبة

وطائرة بمروحتين، وهناك مظلة برتقالية

في الأسفل نهر ضجر وزورق مقيد.

وعلى الضفة الأخرى للنهر ثمة حديقة تشبه حديقة «باشا»

«وران»(43)

ولكن لا يطوقها جند العدو ولا دروبها ممنوعة (44)

رأسك ثقيل إذ تجعل من رغوة البيرة قبعة للخيال

تدخل صور القماش:

تطالع الآن كتاب الماء وتعيد كتابة الحديقة

إنك الآن على الشاطئ، لا أحد يراك تنزع ثيابك

وتدخل الماء يجفل النهر قليلاً، يبللك حتى سُرة شعرك.

خطوات .. لتصل الزورق

تطلع سراحه، فيبتسم.

تسحبه إليك

تقود الحصان الخشبي في الماء حتى تصل روضة الأزهار

تدخل حديقة الباشا الخالية من الحراس

تحجب عنك الأزهار الشعر ولا يمهلك العطر أن تكتب

قد صرت نقلاً فارع القامة. وصارت الأزهار أطفالاً صغاراً

يحومون حولك محتضنين ركبتيك.

تضرب الأزهار حولك طوقاً وتمنع الروائح الكريهة من الوصول إليك

يا له من طوق جميل

تنحني وتجني ثلاث باقات من الروائح الملونة وتعود

إلى داخل الزورق.

سرب من الأسماك قادم كي يودعك.

تصل الشاطئ ثانية، تعود الأسماك

وقبل أن تنزل، تأخذ منك بعضُ الأشجار القصيرة

باقاتِ الأزهار. فتسترجعها ثانية.

وتخفق نحو السماء

ممسكاً بالباقات والروائح

تصل يدك خصر الغيمة فتمسكه بشدة.

تتشبث به.

تطير مسرعاً.

تلحق بالطائرة

تتضاءل هذه المرة، تغدو شعاعاً

وتدخل الطائرة عبر زجاج النافذة.

تجلس في صالة التدخين

تشرب الشعر والقهوة معاً.

تمرق الطائرة عبر الزمن

وتمزق ستائر الغيوم وتزيد من سرعتها

تحتضن باقاتك كالأماني.

تنظر إلى ساعة يدك.

بعد أن تشم رائحة، تعلو أنفك ابتسامة.

ثمة رائحة.. ثمة رائحة.. ثمة رائحة..

رائحة «كويزه» و«ويله ده ر» (45). رائحة العذاب

ورائحة مقبرة الشهداء، ورائحة قصائد مدينتك

الباقات في حضنك. عليك الهبوط هنا

تتضاءل ثانية. تنطلق كشعاع ينفذ في زجاج النافذة

ما زالت الباقات في كنفك. تتدحرج على السحب

تصل المظلة. تمسك حبلها بإحدى يديك

والروائح باليد الأخرى

الأزهار تشدو، وترقص فرحى على صدرك

تتدحرج على السحب وتصل قارة الأمطار،

ترى ميلاد المطر.

تبلغ إقليم الحالوب ومملكة الأعاصير.

ترى موت البخار عن كثب. ترى ملكة الضوء.

تمر عليها الواحدة تلو الأخرى. تجول بينها. وتنزل على مهل

الأرض تستقبلك وتصل أفق سرجنار

ألف وخمسمائة متر، خمسون متر وها أنت تجد نفسك فجأة

في أحضان الصنار. الوقت متأخر ليلاً

وما من أحد.

الأزهار تنعس في حضنك – تُعاني من تعب الطريق –

عليك الآن بالبحث عن ثلاثة عناوين في هذي المدينة،

عن ثلاثة أنواع من العشق:

عنوان أحدث رائحة شِعرية غاضبة،

وأحدث رائحة تمرد مسرحي،

وأحدث رائحة لعاصفة حنجرة القصة القصيرة.

ينبغي عليك العثور عليها، وبلوغها

كي تعطيها الباقات الثلاث

«فجأة يرتفع صوت انكسار أحد الأقداح على المائدة
أرفع رأسي. يغيب الحلم. تعود الحانة إلى مكانها
والفتاة الواقفة وراء مصطبتها تنظر إليّ من بعيد
وكأنها تعرف أي شك أنا مستغرق فيه
أنهضُ وأغادرُ البار
أني الآن شجرة سكرى خارجة.
وخارج البار تذهب الريح بقبعة الرغوة
وأشعر كأنني قصيدة متسكعة على شارع ليل طري
تفوح مني رائحةُ ميتٍ مجهول القبر
وها أنذا أذوي كلمة كلمة.
عندئذ، سوف أغني أغنية لنفسي
تصاحبها ريح الجنوب:
لم يدلف حلمي أحد هذه القصور
لم تدخل سنتي أحد هذه المواسم
لم تلج عيني أحدى هذه النساء
ولم تعطر أي رائحة من هذه الروائح إحدى كلماتي
إن ما يدخل روحي
هو زقاق «كانيسكان» الموحل

وما يدخل سنتي

هو سخام الوطن وقروحه

وما يدخل عيني

هو عيون فتاة من «كويسنجق»

والنهر الذي يصب في روحي

هو «سيروان» الكدر

والرائحة الوحيدة التي تعطر كلماتي

هي رؤوس أطفال مدينتي وشعرهم

كل البحار هنا تروم أن تبتلع

إحدى عيون الجبال داخل روحي

ولكنها لا قِبَل لها

كل المدن الجميلة هنا تروم أن تمحو

مطحنة «قلعة دزة»(46) الصغيرة بداخلي

ولكنها لا قِبَل لها

كل الأجسام العارية هنا تروم أن تنسيني

غمز عيون إحدى فتيات «أربيل»

كل المحلات والأسواق الباهرة هنا

تـروم أن ينمحـي «الحـوض اليـابس» و«تحـت الجسـر»(47) مـن ذاكرتي،

ولكنها غير قادرة.

كل زجاجات عطر أوروبا تنوي أن تنسيني

رائحة «سخاب»(48) جيدك

ولكنها غير قادرة

من تلك العين الصغيرة

أرمي بتفجّر كلماتي

إلى بحار الدنيا

إني آخذ الخراب والمطحنة

واضعها في أحشاء الدنيا وجسدها

واضع غمزة تلك العيون في عيون الدنيا

واضع السخاب

في جيدها

إنني قصيدة

إن لم يشمني أنف أحجار «هلكورد» ويحبني

فلن يشمني ولن يحبني

أنف ثلوج قمة أفرست

إني قصيدة

لم تحتضن رقبتي

مدينة كلمات العالم المزينة أعناقها بالفوانيس

ولم تحبني أو تشمني حتى أخذت إليها من هنا، من لدنكم،

شيئاً من هموم حلبجة وترابها وأوراقها،

وفحمها وأنفاسها ورائحتها، وأزهار الخزامى

ورائحة جسد لغتي هذه.

إني ما زلت هنا، داخل الثلوج الزرقاء

أحترق شيئاً فشيئاً

بعيداً عن فانوس رؤيتكم

إني ما زلت هنا.. داخل الثلوج الزرقاء

أغدو في هذا القطب أحياناً

شرارة حجر الصوان

يأتي ثانية يوم آخر عبر الضباب

وأنا ما زلت هنا:

إنه يوم جديد وقديم معاً

سأحلق لحية وحدة أخرى

ولكن المرآة هي نفسها

وضباب زجاج العيون هو نفسه

تنفح مني رائحة هذا القطب

وأنا أكوي وجه هذا الصباح وقفاه من جديد

ولكن سأم روحي

منبعج كعادته

– تنفح مني رائحة القماش المحروق من جراء الكوي –

إنه يوم جديد وقديم معاً

يحملني المصعد على أكتافه ثانية

ينزلني إلى الطابق السفلي

أخرج،

تصادفني عند الباب – مـن جديـد – جـارتي العجـوز الـتي تشبه ببغاءً عابس الوجه

– إنها لا تحبني بسبب لون شَعري

تتحاشاني وتمر مسرعة

– تنبعث مني رائحة النفور –

حين أفتح مظلتي:

– صباح الخير

- صباح الخير

إنه الحوار الصباحي الدائم

بيني وبين مظلتي

إنه يوم جديد وقديم معاً

تنفح مني رائحة الأمس وقبله

تنفخ مني رائحة الصدأ

ورائحة إحدى المظلات المكسورة هنا

تشعبتْ من التجارب فروع جمة

عبر رحلته من الجبل إلى البحر

أصبح سفر الروائح هذا

صديقاً لأصوات وألوان شتى من هذه الدنيا

هكذا، سفر الروائح هذا هو سِفر التجارب

ولكنني لم أتمكن أن أنقذ نفسي من رائحة الخوف

لقد لفحتني رائحة الخوف،

فلئن وجدتم منطقة الروائح معدومة محظورة

في سفر الروائح هذا

فمصدره الخوف ذاك»

«لأنني صادقت الجبل

حيناً من الزمن

لي الآن أن أزرع بذور الرؤيا على الحجر

وأنا سائر في طريقي.

لأنني صادقت البحر

حيناً من الزمن

لي الآن أن أغوص في القاع العميق للغة

لأعثر على مرجان المعنى

لأنني كنتُ مستأجراً

لأحد بيوت النجوم البعيدة

حيناً من الزمن

بوسعي الآن أن أحيل التلألؤ أريجاً

وان أستشرف ما وراء الفصول

لأنني عايشت العاصفة

حيناً من الزمن

لي الآن أن أستحيل سؤالاً وشكاً

وان أهب وأهزّ ياقة اليقين

ولأنني عايشت الخوف والضباب لعهد طويل

سامحوني إن عجزتُ عن البوح لكم

بكل ما في جوانحي، كشمس غبية»

إنني ما زلت هنا

في هذا البلد البارد الدم،

أتدفأ فقط في يوم الكتاب

أمام آتون الشعر

في يوم الكاتب فقط

تظهر فراشات الضحك التائهة وتحوم حولي

في يوم الكتاب فقط

أنا الصفحة ما بعد الخمسين،

تعلو وجهي الابتسامة في مجلة الغربة وأطوى.

أتفتح في يوم الكلمة والكتاب

أغدو سهوبا للنثر

ونافورة مسرح،

أصبح قصة رحالة

اليوم وكرأس فضي لقلم من أقلام الحبر

ألتمع من بعيد

في «سينترمى تينستا» (49)

التقى بـ «هير اندرسون»،

هير اندرسون طويل كخريطة السويد

ويشبه وجهه دائماً جزيرة الضحك

هير اندرسون عضو في البرلمان والحزب الأخضر،

لكنه وحسب قوله:

«إن حدث ثقب في زورق سفاريا

سيلم حزبه ويسد به الثقب»

رأس اندرسون مليء بالكتب

وقلبه بالطيور

وعيناه بالغابات

إنه «ريح» البحر تبتسم وهي تعاني من غربة الجبل

لقد صف هير اندرسون الشعر والموسيقى والغرباء

فوق رفوف عينيه وحاجبيه

تفوح من كلامه رائحة «تول بان» (50)

حين أراه أشعر بنفسي كنافذة مغلقة

يفتحني هير اندرسون،

يرمي بشباك أسئلته القديمة

ويجعلني مجدداً فارزة أمامه،

يجعلني الصحيفة المطوية في يده

– هاي .. هاي .. شيركو!

أما زالت الجبال يذبح بعضها بعضاً؟!

ما هذا ؟! انتم قد أرجعتم الديناصور بأنفسكم إليكم!

هير اندرسون .. لا ينقل جبالي إلى الصحف كالماضي

لا يكتب الآن بعذابي ولا يشرب دموعي

في قدح البرلمان

هير اندرسون لا يتنزه الآن

مع همومي، كسابق الأيام

إنه لا يبحث عن جرحي ولا يفتح الباب عاجلاً

بوجه بحثي الملتهب

هنا وقبل عشر سنوات

أيام شموع حلبجة،

وغداة طوفان النزوح الجماعي،

كان هير اندرسون وزوجته

قد انتزعا قلبيهما

وجعلاه صندوق توفير لكردستان

يطوفان به الأسواق

هير اندرسون يقف معي قليلاً

ثم يغـادرني متوجهـاً مـع إحـدى أشـجار أبنـوس «روانـدا» صـوب الجنوب

يحيلني سؤال هير اندرسون

إلى ورقة كتاب ممزقة

وقصيدة انسكبت عليها القهوة

ووتراً مقطوعاً

تفوح مني الآن رائحة الذئب

ورائحة الحماقة والجنون،

رائحة الصحف المثيرة للفتن والحروب،

ورائحة العمامة الخائنة،

ورائحة عفونة تأريخ غابر.

تحركت الجذوع ونطقت بشيء،

التفتت الجداول ونطقت بشيء

ولكنكم لم تنبسوا بشيء ولم تفعلوا شيئاً

قصصكم ومسرحياتكم ومقالاتكم

كانت كلمات من الزجاج والفخار
مصطفة على رفوف صمتكم،
فاهتزت مع اهتزاز المدرعة وانهارت وتهشمت
أدبكم نقض وضوءه
وأقلامكم أيضاً، واحدة واحدة
مثلما يعتزل الحصانُ من الصهيل
والعاصفة من الصفير
والنار من اللهب
استحالت قصصكم واحدة تلو الأخرى أرانب خشبية
كلماتكم كانت معجوناً وطنياً اصطناعياً وشموعاً من الشحم
أذابتها حرارة الهاون
واستحالت تمثالاً أمام الديناصور وقبيلة الموت
في السهب ذاك طيّرَ هواءُ مدفعٍ
إحدى صفحات مجلة ممزقة
فقالت شيئاً
في السهب ذاك أنتفض رأس طير مذبوح
وقال شيئاً
ولكنكم لم تنطقوا بشيء، لم تفعلوا شيئاً

إنك تدور برائحة شِعر البستان الجوال

وتذوب قطرة فقطرة أمام شمس الجمال

أنك قبقبة حجل اللغة،

وفراشة لحية «نالي»

تحوم حول أوروبا

تنثال الأحلام في رأسك

تخضلّ رغباتك وأمانيك ورؤياك

فيسيل منك الشعر

امستردام .. زورق مزجج مشع في شارع مائي،

زقاق مائي، ساباط مائي

وأنت مصباح ثمل تطوف في الليل

ترج في الماء

تسطع في الماء

يشبه المدمنون في هذه المدينة

نجوماً متسكعة بثياب ممزقة

وأزهاراً وسخة في حديقة

وزجاجات خمر عديمة الرؤوس والأعناق

الخيال المحض هو وطن المدمنين

انهم ينفحون برائحة اللحظة:

لحظة.. يدخّنون فيها عبث هذا العصر

لحظة.. ماضيها سراب

والمستقبل فيها متخثر

امستردام تطوف بي داخلها

امستردام كتاب، قام الماء بتجليده

حجمه صغير، لكن العالم يطالعه دون انتهاء

داخل هذا الجسد هناك رأس القسيس وسيقان المومس،

أيدي الفنان، وأرجل التجارة مجتمعة معاً

امستردام .. تطوف بي داخل نفسها

امستردام .. جسم عارٍ لحسناء هولندية

مستلقية بين الأزهار

انها كتاب صفحاته أمواج بحر لامتناهٍ

انها كتاب لن يفهمه أحد

ففي لحظة واحدة

تكتبه مائة لغة

وتقرأه مائة لغة

ستمر أمامي مسرعة كسلاسل دراجة هوائية على أرض مستوية

رائحة أكثر أزهار الدنيا عبقاً،

ورائحة الحشيشة

ورائحة الجنس والتعري

ورائحة الحضيض

ورائحة محكمة لاهاي

ورائحة الموسيقى

في هذه المدينة فقط

يلسعني زوغان الرائحة

منذ عامين و«سميرة» اليمنية يمامة هولندا المشردة

حضنها المليء بالقبل والفراشات

فضاء لهيامي المحلّق

منذ عامين ثمة مطر صيفي يَمَني يبللني،

وعاصمة هذا الجسد العبق هي «صنعاء»

هذه السمكة المجنحة، هذه الجذوة السمراء،

هذا الحلم الملتهب للبحر الأحمر، هذا الينبوع البني

هذه الواحة المنيرة،

كلما تحتضن جيد مربعي وتلثمه
أستحيل قطرات للذوبان،
أو نزفة من ماء الثلج
في الإناء وفي قعر الفنجان
محمصة هي الغربة داخل هذا الجسد القائظ،
متوقدة هي أصابعي في خط استواء الخصر
ومشتى هذه النهود
سميرة اليمنية، كتاب الأمواج الحنطاوية
شلال الشهوة وفنار الرغبة المضاء
في غرفة الزورق الخشبي عند الشاطئ.

قبل أن أراها: حوض خالٍ أنا
فجأة تغرقني الابتسامة
ظلال شجرة وحيدة أنا قبل رؤيتها
وفجأة أغدو أفقاً لآلاف الطيور
نجلس في حديقة على مقعد مرمري
إلى يميننا حفلة لعروسين
تحت شمس الدفلى،

وإلى يسارنا ثمة عينان محدقتان والهتان

لإحدى أشجار الخوخ

قبل جلوسنا

يبتسم الكرسي للفتاة اليمنية

لتمْر التعضوض

تهب ريح من الأعلى فتدلف شعرها

ومن هناك تزور فمها

لكنها تشعر بالعطش بعد قليل

ننهض ثمة أوراق متساقطة

من أوراق حديثنا

نتركها وراءنا لليل وحدة الكرسي

امتداد الشوارع قلائد قصيرة

على جيد أحاديث العاشقين ..

ساعة العاشق وحدها،

حين تحلم،

لا تعرف أن تحسب الدقائق والثواني.

أنها الشعاع الوحيد الذي

بوسعه أن يخترق الزمن

وأن يشم «عطارد» في آن معاً

أن يجتاز شارعاً في القمر

وان يحمل «المريخ» في عينه

أن يكون هنا وهناك في آن معاً

ندخل بيت الماء

أنه سفينة وبيت

غرفتان ودهليز في الماء،

السمك مستأجر

وصاحب الدار هو البحر

باحة مائية،

جار مائي،

زقاق من الماء، وأساس الدار من الأمواج

هذه الدار امرأة ترتدي الخضرة

نصفها في الماء وترقص دائماً

حين أتكلم تخضّلُ أحاديثي شرابة جملها

بمياه النهر

ترد الكلمات كقطرات باردة

فوق بشرة جسد نصف عارٍ،

نصف مكتو،

ويتناهى إلى السمع نشيش الكلمات

يلاثم قدحان أحدهما الآخر قبلنا

ويصدر عنهما رنين ليلة زجاجية حمراء

تفوح الآن من هذا البيت – السفينة، من غرفة الأسماك هذه

رائحة أذن «فان كوخ» المقطوعة

أنهض، كلما الموجة حين تروم رؤية مصابيح مرافئ البحار

اقف أمام مجاميع من الكتب مصطفة.

قرون مصطفة.

صفوف من روح الملائكة والنجوم الطائفة

صفوف من جداول الخيال المضطرب.

أمد يدي وأُنزل إحدى هذه الغيوم، إنها «لوركا»

تضرب عيني صاعقة الغيمة مباشرة

فأحمر كقامة «غرناطة».

أمد يدي إلى الرفوف ثانية.

وأُنزل قلعة، جدرانها من آجر السأم،

وسورها من أحجار ضباب كثيف.

وبرجها من ليل العزلة

إنها «كافكا» والتيه والسؤال والجوى الأبدي

أعود إلى كرسي شِعري

المواجه للموّال الأسمر

المواجه للبنفسجة اليمنية:

– لم هذا الصمت؟

يبدو انك لست معي؟

إنها تصدق، لستُ معها. أني الآن

شياط الخيمة المهاجرة بين الجسد ذاك وبين إحدى تلال وطني

المحروقة.

إنها تصدق، لست معها

أني الآن إصبع متردد بين شجرة أجاص ذلك الجسد

وبين ساعة الوطن الذابلة

أتساءل:

من أين والى أين قد جئت بخيط من كرة صوف دماء رأسي؟!

من أين والى أين أمتد أنا

كدرب انتكاسات

ورذاذ لدقائق وثوان الضحايا المراقة؟

من أين وإلى أين

أنفح برائحة المنفى وأنا أنفاس الظلمات؟

تلك الليلة وفي الدار النشوى

كنت شجناً قانياً،

وفتحت رؤوساً مختومة لأوعية من الخيال

تضمخت تلك الليلة برائحة الشعر الأسمر،

ورائحة الخرير، ورائحة البحر حتى الصباح.

مشتت هو رأسي

فهو تارة حقيبة منسية في مطار

وتارة ضباب على زجاج إحدى مقطورات القطار،

وأخرى فقاعة تتركها وراءها سفينة في إحدى البحار

مشتتة هي رائحتي

فأنا رائحة مئات الميتات الملونة

حين أكون بالقرب من وطني:

تفوح من عمائم الوطن.. ومن شملات الوطن،

رائحة أغانيّ المقتولة.

تفوح من جدران وطني رائحة جوعي وديجوري

وحين أهرب يتضمّخ الخابور برائحة جثتي تارة

وينمُّ الثلج برائحة تجمدي تارة،
وتضمخ أنفاس الجندرمة برائحة دمائي تارة أخرى

تفوح من طرق المهربين رائحة جثتي المبتورة يدها حيناً
وحيناً آخر تفوح من المرافئ رائحة أحلامي الطافية
فوق مياهها.
وفي المواسم هذه، تفوح مني رائحة صناديق الرصاص
ورائحة مصانع الـ «دوشكا»

تفوح مني دائماً رائحة الانتقام والبارود
والكهوف وقبائل السكاكين والفؤوس
تفوح منّا رائحة جبة عثمان باشا
ورائحة نعل أحمد باشا
ورائحة الإمارة،
تضمخنا برائحة الكذب.
تضمخنا نحن بتلك الرائحة المحيطة بنا
من كل صوب
والرائحة الوحيدة التي لا تفوح منا هي رائحة طيبنا

أن ما لا أتضمخ به هي رائحة النور

مالا أتضمخ به هي رائحة الصباح

أما عزلتي في هذا القطب

فلا تقارنها بعزلة سحابة وحيدة

فهي ستنزل من الأفق إلى الأرض

على خيوط المطر عاجلاً أم آجلاً

ولكنني، أنا بنفسي، سماء من العزلة

وغربتي لا تقارنها

بغربة النورس الوحيد على البحر

أنه يطير وسينضم إليه أصدقاؤه

أو سيصل معمورة عاجلاً أم آجلاً

ولكنني، أنا بنفسي، جزيرة بل أرخبيل

لكم مد البحر يده ورمى بشباك أمواجه

لكنه لم يصل إلى غربتي

وموتي لا تقارنه بجبال الوطن

فالحجر لن يموت أبداً والتراب لن يموت أبداً

والماء لن يقتل أبداً

لا أحد يموت سواي

تلك الشوارع ستبقى، وتسترد شبابها غداً

وسترتدي أجمل البدلات

ستبقى تلك الأنهر، وتتسامق أكثر غداً

وستعطر ضفائرها بأطيب العطور

ستبقى الجبال تزداد روعة غداً

وتعتمر عمائم أجمل

لكن، واحسرتاه، لن يتسنى لفراشات عيوني

أن تتنزه في تلك الشوارع مع النجوم،

أن تسبح في الأنهر مع الفوانيس والشعر،

وأن توزع مع الشمس في تلك الجبال الفرح والسنابل

وأأسفاه، أنني لن أكون هناك كي أشم روائحها

يقول لي المنفى

يردد المهجر

في ليالي هذا القطب

أفرطتَ في هز شجرة تفاح جسدك المضطربة

التي نفضتها الرزايا كذلك.

حتى تعريتَ من الأغصان

ولم تبق لديك تفاحة

كي تأخذها عند عودتك، إلى أحد أطفال «حاجي حان»

في محطات العذاب والجليد

أفرطت في إشعال بكائك،

حتى لم تبق لديك إحدى خرزات الألق

كي تأخذها عند عودتك، إلى عيون إحدى ظباء «كانيسكان»(51)

عند مجيئك كنت مرآة الكلمات الكبيرة

كنت «قشقولي»(52) في النوروز

وألوانك تلمع

ولكنك هنا كنت تقتطع كل يوم

جزءاً من قامتك،

وتلمسه إلى رحيل جديد

أنت الآن قامة من الثلج الأسود

لم تبق لديك قطعة مرآة

كي تأخذها حين عودتك، إلى إحدى حسناوات «كرميان»

حين مجيئك كنت محلاً متجولاً

رفوف أكتافك وصدرك

عامرة بزجاجات العطور،

لكن «ريحاً» هنا

كانت تأتي وتنتشلها،

صوتاً يأتي ويأخذها

انك الآن محل خال

لم تبق لديك زجاجة عطر ولو صغيرة

كي تأخذها عند عودتك، لتعطر بها ضفائر «به ريخان»

ألا يا ليمونة التشرد

لا تقحمني نفسك هكذا

فيما بين القطب والأحزان

لئلا تبقى منك قشورك

وعدة حبّات باكية لا غير، فيعيدونها إلى الوطن

ألا يا طائر سماء هذه اللغة

لا تمكث داخل الطوفان والدمق كثيراً

لئلا تبقى من أغنياتك

بضع قطع ثلجية

ومن زقزقاتك ورفرفاتك

حفنة من بَرَد لا غير،

فيعيدونها إلى الوطن

ألا يا تراب الكلمات ومدر جبل الشعر

لا تستسلم كثيراً

لريح المنفى الغريبة والمجهولة

لئلا يسحقك العذاب

داخل هاون هذا القطب،

فلا تبقى منك سوى صُرّه تراب

يعيدونها إلى الوطن.

منذ زمن وأنا لست بينكم

منذ زمن وصُراخي قد انتابه وهن

ماذا أفعل،

مضى زمن ولم يسقني رنوّكم

منذ زمن ووردة سماعي عديمة الرائحة

ماذا أفعل؟ لقد امتص انحصار لونكم الأسود

ألواني كلها

حتى رائحة جروحكم الغائرة

تتناقل بين آلاف الرياح اللامبالية

وآلاف الغيوم غير المكترثة لهذه الدنيا

ثم تصل إلى بيتي .. ماذا أفعل؟

أنا بعيد جداً..

أنا بعيد بُعد السعادة عنكم

أنا بعيد جداً ..

أنا بعيد بُعد السلم عنكم

لذا حينما أهطل أنا

تكونون أنتم قد كففتم عن الهطول

وحين أتوقف أنا

تكونون أنتم بدأتم تهطلون سوية

منذ زمن وأنا قد هجرت عين روحي

لذا لا تفوح مني رائحة عبير أوراق كلامكم

ووردة أسراركم الشذية

لقد مضى زمن لم أرَ فيه قامات الأصوات

والألوان والروائح، ونسيت ملامحها

يا له من زمن طويل، حين ذهبتُ
كان زقاقنا جرحاً صغيراً
ولكن حين رأيته بالأمس، ثانية
كان قد كبر كثيراً
واستحال مدينةً
كدتُ لا أتعرف عليها.
أيا جلابي
ذهبت أنا وتركت لك عينيٌ،
قلت لك: فليكن عندك فانوسان إضافيان
فالليالي هذه هي ليالي العقل المشتت
وذهبت أنا وتركت لك أذني
فالليالي هذه هي ليالي لصوص القمر والدم
فليكن عندك حارسان إضافيان
ذهبتُ أنا وتركت لك فمي
فالليالي هذه وكما قلت لك:
هي ليالي التسميم
فليكن عندك فم آخر
ذهبت أنا وتركت لك لاحقاً

أنا من دون رائحة قاماتكم

شجرة شعِر عارية..

أنا من دون رائحة صوتكم

ناي مكسور!

استذكرت رائحة نواحكم

فنبتت في حلمي إحدى زهور الشقائق

استذكرت رائحة حمرتكم

فاندلعت في حلمي انتفاضة الجروح

استذكرت رائحة خضرتكم

فبدأ الصنوبر يرفرف في رأسي

استذكرت رائحة صفرتكم

فجاء وطني الشاحب إلى هنا في حلمي!

آه أيها الوطن! يا كبشا برياً

مر عليه ألف عام

عالقاً عند شيق تأريخ،

يثغو..

فغدا رماح الدنيا التي تطوقك

تطلق أحجارك النار عليك وتطاردك أشجارك

وتتصيدك قرونك

آه أيها الوطن، يا أرملة الشرق الأوسط التعيسة

ذات العيون الخضر.

لقد تزوجتِ الفصول كلها

تزوجتِ الأصوات كلها

تزوجتِ الروائح كلها

ولكنها خانتك جميعاً، وطردتك جميعاً

آه أيها الوطن! ليس عندي الآن ما ينم برائحتك

سوى حلم في ثياب الحداد وقصيدة ندية الجبين..

يحملها لي دائماً خريفٌ هو ساعي بريدٍ نحيل.

أيها الوطن: أيها الوطن المتروك على الخابور

أيها الوطن الموحل الدامي الرأس،

نحن المتسكعين على شوارع أوروبا،

نحن الذين نشبه الطوابع المستعملة،

نحن الذين نشبه علب الكوكا كولا المنبعجة المرمية في الخارج،

نتذكر كلنا ذلك اليوم

يوم لففناك في البيت، على عجل

أنت العزيز علينا،

أنت يا إناء كريستال روحنا وعيوننا،

لففناك بالخرقة التي نمسح به بها الأحذية

وبملابسنا الداخلية كي لا تنكسر،

كي نسلمك – على الخابور – إلى أيدي المهرِّبين سالماً.

ألا أيها الوطن، أيها الوطن المخدوع بدموع بعض القصائد

وببخار قَسَم عناوين الصحف.

ألا أيها الوطن الناحل،

تتذكر بدورك يوم أخرجناك هناك من حقيبتنا،

وحين نفضت نفسك، عانقتنا مع الغيم وبكيت علينا قليلاً.

ولكن أيها الوطن الساذج،

لحظتئذ كنا نحمل في جيبنا الداخلي عدة بلدان بضة وناضرة

ولهذا لم نلق ولو نظرة عليك، واستبدلناك

مجدداً بتأشيرة دخول،

آنئذ، أيها الوطن الناحل،
تركناك وحيداً على الخابور كقرد موحل
كي يسخر منك أتاتورك
«النشيد الأخير في سفر الروائح هذا
عبارة عن سيرة ذاتية مختصرة لإحدى الكلمات
من مواطني مملكة «مم وزين» عندما تكون في ظل رائحة أتاتورك،
ثم عندما تحلّقُ فوق الذرى والصراخ»

أرهف أتاتورك سمعه
مساحة أذنه مئات الكيلومترات المربعة.
إنه يتشمم، يتشمم رائحة البيت
ورائحة الملابس، والكلام، والأحلام، والهواء.
أنفه، يشبه جبل طوروس في ضخامته
كلمة الجبال شاب عاطل عن العمل.
تتقنع كل يوم بقناع وتغير ملابسها وتخرج من البيت.
تجلس على مقعد في أحد المقاهي.
لا تنطق الكلمة الضجرة بشيء بل تتأمل لا غير.
تتأمل القفص،

تتأمل السماء.

وتشرب الشاي أمامها صامتة.

تدخن يومياً علبتين من الأحزان عديمةِ الفلتر،

لا تنبس ببنت شفة وتكظم غيظها.

أن أذني أتاتورك مرهفتان وأنفه على قلبه

أبو الأتراك يقبض بيده على حرف علة ويكويه،

كل يوم يعلق أغنية من جدائلها

تبقى كلمة الجبال ساكتة كاظمة. تعود الكلمة

إلى بيتها في إحدى الأماسي. تقف أمام المرآة:

تنظر الى نفسها وتجفل.

لقد استحال رأسها قفصاً

ومن أصابعها بقيت خمسة فقط،

أنها تفزع ..

استحالت إحدى عينيها زجاجاً، وإحدى رجليها صفيحاً.

ترتاع .. ترمي بالقناع وترتدي ثياب الـ«لاوك»(53).

تقتطع من نار جسد «زكية»(54) شملة واسعة وتشدها على خصرها.

تأخذ بضع حفنات من حبوب كلمات «بيشكجي»(55)

وتجعلها زاداً لها. تعود إلى المرآة.

ترى نفسها هذه المرة وقد استعادت صحتها. تضحك فرحة.

تخرج من البيت. لا تتجه صوب المقهى وتغير طريقها.

تجتاز سهب الدخان وربوة الجذى وجبل الموت.

حتى تصل إلى عين ماء.

هناك ترى حلمها وقد صار حصاناً مجنحاً أحمر، تعتليه

هناك فقط تشم الكلمة المجنحة رائحة الغد

وان مات فسترحل وهي على كرسي إحدى النيران

آه أيها الوطن .. أيها الوطن المتروك على الخابور

لذنا بالفرار نحن، وانطلقنا

هربنا .. هربنا

كان الوطن قملاً، كان الوطن قشرة موز من سيلوبي

لذا، حين بدأنا نسير رميناها من نافذة الحافلة

بالقرب من المرآب.

كان الوطن أما من الصفيح، ركلناها حتى وصلنا أنقرة.

كان الوطن مصراناً أعور

قطعناه في أسطنبول ورميناه إلى أسماك القرش في بحر «ايجة».

كان الوطن فاكهة نتنة.

كان الوطن رائحة عطنة.. كان طعاماً فاسداً

فأمسكنا أنوفنا ورميناه من حافة السفينة

في البسفور ليجرفه معه

كنا أزيز الطائرة

لذنا بالفرار نحن، وانطلقنا!

نحن كنا أزيز الفيزا والفزع

فهربنا .. وهربنا

أيها الوطن الناحل! قد تركناك وحيداً!

– هلو .. هلو .. هلو

– أهو أنت أيها الوطن الناحل؟! بالله عليك

– أهو أنت؟! أما زلت واقفاً ؟

لذنا بالفرار نحن .. وانطلقنا

نحن هربنا ..

هربنا .. وهربنا!

* * *

ستوكهولم – تينستا

1998 – 1997

هوامش القصيدة

(1) ملكندي: حي من الاحياء في مدينة «سليماني»

(2) زردشت: هو نبي الديانة الزردشتية، وصاحب كتاب "افيستا"، والكاتايان عبارة عن أجزاء الكتاب.

(3) فقي طيران: شاعر كردي قديم، وبابا طاهر هو الشاعر بابا طاهر الهمداني صاحب الرباعيات.

(4) مسجد حاجي حان: من المساجد القديمة في سليماني ...

(5) كله زه رده: جبل يقع ضمن سلسلة جبلية تحيط مدينة سليماني.

كهف هزار ميرد: كهف يقع بالقرب من جبل كله زه رده.

(6) أمين زكى بك: مؤرخ كردي مشهور.

(7) بيكه س: هو الشاعر الوطني «فائق بيكه س» والد الشاعر «شيركو بيكه س».

قانع: شاعر وطني آخر عاصر الشاعر فائق بيكه س.

(8) تووى مه ليك: أحد شوارع مدينة "سليماني"

(9) نالي: شاعر كلاسيكي كبير عاش في القرن التاسع عشر.

(10) نوروز: هو عيد الكرد الذي يبدأ في 12 آذار من كل عام

(11) كرميان: أسم يطلق على المناطق الحارة في كردستان

(12) شه م: أسم حبيبة الشاعر «ولي ديوانه» يحكى أن ولي ديوانه قد جن حين لم يزوجوه «شه م» وهام على وجهه.

(13) هه لكورد: جبل شاهق في كردستان.

مم وزين: قصة حب ذائعة الصيت، كتبها الشاعر الكلاسيكي الكبير «أحمد خاني».

(14) جزيرة: منطقة الجزيرة في سوريا.

بوتان: منطقة كردية تقع في كردستان تركيا.

(15) مه ركه وه ر: شخصية ماكرة في قصة «مم وزين» تتسبب في التفريق بين العاشقين.

(16) بحيرة وان: بحيرة تقع في كردستان تركيا

(17) ويس: كان سهلاً في سليماني يتنزه فيه الناس أيام العطل

(18) الريح الهبوب: إشارة إلى بيت للشاعر نالي يقول فيه:

افدي تراب طريقك أيتها الريح الهبوب

أيها الرسول المحنك ذو الخبرة بسهل شهرزور

(19) الله ويسي: نوع من الغناء الكردي

(20) علي مردان: مطرب كردي مشهور بغناء المقامات

(21) زنكنه: اسم منطقة تقع في ضواحي كركوك

(22) شوان: منطقة أخرى من المناطق المحلية في مدينة كركوك

(23) خاوكه ر: نوع من أنواع المقامات الكردية

(24) قندهاري، نوع من أنواع الحنطة الموجودة في كردستان

(25) أنواع من الملابس الكردية

(26) ادريس البدليسي: هو ملة أدريس البدليسي الذي تعاون مع السلطان العثماني سليم العثماني في إخضاع الإمارات الكردية لحكم العثمانيين.

(27) حيران: نوع من الغناء الكردي

(28) كاني عاشقان: حرفياً تعني «نبع العشاق» وهو نبع يقع في منطقة حلبجة وكان موقعاً للاصطياف قبل القصف الكيمياوي للمدينة.

(29) محوي: من الشعراء الكلاسيكيين الكرد الكبار، كان معاصراً لـ«نالي».

(30) مزدا: هو «اهورامزدا» خالق الكون والأفلاك عند الزردشتيين.

(31) بستان مير: من البساتين المشهورة في حلبجة.

(32) شقلاوة: مدينة سياحية في ضواحي اربيل.

(33) ميرو: صيغة تطلق على الشخص من باب الحب والدلال.

(34) الأنفال: إشارة إلى عمليات الأنفال السيئة الصيت التي قام بها النظام العراقي والتي راح ضحيتها عشرات الآلاف من نساء وأطفال وشيوخ كردستان ولم يُعرف لهم أثر.

(35) سنندج: مدينة كردية، مركز محافظة - كردستان في كردستان إيران.

(36) جالديران: أي معركة جالديران التي حدثت عام 1514 بين العثمانيين وإيران، انضم فيها الكرد إلى جانب العثمانيين مقابل اعترافهم رسمياً بوجود ستة عشر إمارة كردية.

لوزان: معاهدة «لوزان» التي تم بموجبها تقسيم كردستان.

(37) هه له دن وميركه بان: قريتان من قرى ضواحي سليماني

(38) هورامان: من مناطق كردستان

(39) سرجنار: مصيف يقع على بعد عشر كيلومترات من مدينة سليماني

(40)، (41) ستارخاني ومراخاني: نوعان من الملابس الكردية

(42) عزت يكبارجه: شخصية كردية من السليمانية معروفة بروح التنكيست والمرح

(43) كوران: هو الشاعر الكردي «عبد الله كوران» الذي تعزى إليه المحاولات التجديدية في الشعر الكردي.

(44) إشارة إلى سطر لكوران يقول فيه:

حديقة الباشا تقع على الجانب الآخر من النهر

يطوقها جند العدو

دروبها ممنوعة في وجهي .. الخ ..

(45) ويله ده ر: قرية تقع في الشمال الشرقي من «سليماني».

(46) قلعة دزة: قضاء من اقضية سليماني.

(47) الحوض اليابس وتحت الجسر: من أسواق مدينة سليماني.

(48) سخاب: سمط أو قلادة مصنوعة من القرنفل.

(49) سينترومى تينستا: تعني مركز محلة تينيستا في ستوكهولم.

(50) تول بان: نوع من الأزهار باللغة السويدية.

(51) كانيسكان: من أحياء مدينة سليماني.

(52) قشقولي: منطقة سياحية، يتوجه إليها الناس إبان عطلات الربيع.

(53) لاوك: نوع من الغناء الكردي.

(54) زكية: هي زكية البان التي أحرقت نفسها احتجاجاً على سياسات النظام التركي.

(55) بيشكجى: هو «اسماعيل البيشكجى» الكاتب التركي الذي دافع ومازال يدافع عن الكرد و القضية الكردية في تركيا، ويذكر أنه محكوم عليه بالسجن من جراء مواقفه وكتاباته.

الحياة:

برموزها وتأثيراتها وتلاوينها، ذلك هو ماصنع شيركوبيكه س:

ذلك هو ماصنع شعره.

إنه لايصف الحياة.. بل يدعها هي تعبّر عن نفسها وتفصح عن أسرارها.

إنه - والحياة - شريكان في صناعة القصيدة.

إن «سِفْر الروائح» ليس مجرّد قصائد، بل هو - في جملته - مجموعة صلوات تعبدية تمجّد الحياة... أو تشفق عليها.. أو ترفع الأناشيد في رثائها.

وهي، إضافةً إلى ذلك كله، ليست - كما توحي للوهلة الأولى - مجرّد استذكار حنينيّ، بل هي صوتُ ضميرٍ واثق وخلاق: هي صوت الأمل.

نزيه أبو عفش



